شهريات

بقلم رئيس التحرير

« الآداب » : ٣٠ عاماً

بهذا العدد ، تدخل « الآداب » عامها الثلاثين .

ولا يجدينا شيئاً أن نخفي أن المجلّة تعاني ، منذ بعض الوقت ، عدداً من المصاعب . . .

بل إن ما تفخر به « الآداب » أن تستطيع ، حتى الآن ، مواجهة هذه المصاعب والتغلّب عليها ، ومتابعة مسيرتها ، وعياً منها بأن الاستمرار في الاضطلاع برسالتها القومية والثقافية لم يكن يوماً أشدّ إلحاحاً مما هو اليوم .

وأهمّ عنوان تعيه « الآداب » أنها من المجلات النادرة التي لم ترهن بقاءها بأية حكومة أو نظام أو مؤسّسة ، باستثناء « دار الآداب » ، المؤسسة الأمّ التي تدين المجلّة بالاستمرار لنجاح منشوراتها وقوّة توزيعها في ارجاء الوطن العربي .

وإذن ، فإن « الاستقلالية » التي تحرص عليها « الآداب » أشدّ الحرص ، هي في أصل المصاعب التي تعانيها .

وليس أمام هذه المجلة خيار في ألاّ تكون مستقلّة . لأن الارتهان سيحرمها من ميزتها الاساسية : أن تكون ضمير المثقف العربي في مواجهة العصر ، وفي تحدّي الزمن الرديء الذي يعيشه العرب .

أما المصاعب ، التي هي ثمن الاستقلالية ، فعلى رأسها منافسة غير متكافئة ، أشرنا اليها أكثر من مرة ، بين « الآداب » وبين سائر المجلات الشهرية التي تضاعف عددها ، في السنوات الأخيرة ، عدّة أضعاف ، بفضل الميزانيات الضخمة التي ترصدها لها الجهات الرسمية المختصّة في العواصم العربية ، حتى ولو كانت تصدر في بيروت . . .

ومن الطبيعي أن تجتذب تلك المجلاّت الرسميّة ، أو شبه الرسميّة ، معظم الأقلام المعروفة التي كان « للآداب » نصيب منها . وقد بلغت الإغراءات المادية التي تُقدّم لهذه الأقلام حدّاً لم تعرفه حتى أعظم المجلاّت الثقافية الأجنبية وأكثرها رواجاً[1] !

ولكن السؤال الذي لا بدّ أن يطرح نفسه هنا : من أجل ماذا تُدفع هذه المبالغ ؟ وهل الغاية منها « تشجيع » الكتّاب ، و« رفع مستوى » الثقافة ؟

إن بين راصدي الحركة الأدبية والنقّاد شبه إجماع على أن مستوى « الإبداع » في النتاج الأدبي العربي ، قد انخفض منذ بعض الوقت ، وأن « الروائع » في الشعر والقصة والدراسة أصبحت نادرة .

فهل يمكن ردّ ذلك ، في سبب منه على الأقلّ ، الى أن السخاء في التعويض على الكتّاب قد يكون ، في نهاية المطاف ، عنصراً سلبياً في الإبداع ؟ الا يُغري بسهولة الانتاج ، وبانعدام « المعاناة الفنيّة » بالتالي ، كثرةُ « الطلبات » على المادة الثقافية والأدبية ، وتنافس المجلاّت على الأقلام المشهود لها بالجودة ، بحيث أن هذه الجودة تكفّ ، في وعي المنتج أو لاوعيه أحياناً ، عن أن تكون الشرط الأساسي ؟ ولماذا تُرانا نستبعد أن يكون وراء الإغراءات المادّية رغبة خفيّة في « إغراق » وعي المثقّف المنتج وصرفه عن معالجة الهموم القومية والاجتماعية « الشائكة » التي يهمّ الأنظمة إبقاؤها في حالة الهجوع ؟ وبعبارة أخرى أوضح وأصرح : ألا ترمي تلك الإغراءات إلى « تدجين » الأقلام و « ترويضها » وتطويعها حتى لا تكون ، بعدُ ، مصدر إقلاق وإزعاج للسلطات والحكّام ؟

إن من حقّ الكاتب طبعاً ، أن يأكل من ثمرة نتاجه ، هذا النتاج الذي وفّره بالجهد والعرق ، ولكن من واجبه كذلك أن يجنّب هذا النتاج أن يكون مجرّد سلعة غالية الثمن

(١) لدينا أدلّة على أن بعض مجلاّت دول النفط تدفع لبعض المقالات ما يتراوح بين ألف وألف وخمسمئة دولار ، في حين لا يزيد تعويض المقال الذي تدفعه كبرى المجلات الغربية عن خمسمئة دولار . . .

تُستغل لتوجيه معيّن ، أو لحرف اتّجاه سليم نحو اتّجاه مشبوه ، أو حتى لمجرّد « التسطيح » .

إن التساؤلات التي نطرحها هنا ، جدير بها أن توقظ اهتمام المنتجين والمتلقّين على حدّ سواء . ذلك أن الكسب المادّي قد يخلّف خسارة معنوية تتجلّى في هبوط مستوى الانتاج ، الناتج عن الطمع بمزيد من الكسب على حساب القيمة ، وفي انصراف المتلقّي عن قراءة الأثر الذي يكفّ عن أن يثير اهتمامه أو يحدث لديه ما كان يحدثه سابقاً من « صدم » و « تحدٍّ » وطرح جدّي للقضايا الملحّة[٢] .

وبعد ، فها هي « الآداب » تدخل عامها الثلاثين ، متابعة دربها ، بثقة وصبر ، لا ترهن نفسها ، لأنها لا تبغي سبقاً في منافسة ، ولا تطلب كسباً مادياً ، وانما حَسْبُها أن تواصل مسيرتها التي اختطّت لها أهدافاً واضحة : ان تفسح في التعبير عن هموم الجيل العربي المثقف ، القلق ، الذي يواجه بشجاعة تحدّيات الخارج والداخل ، على حد سواء ، ويحاول أن يؤكّد ذاته بالكلمة الحرّة المبدعة .

سهيل ادريس

(٢) حدّثني أحد الكتّاب أنه لاحظ مؤخّراً أن غزارة إنتاجه ، تلبية لطلبات المجلّات ، خلّفت لدى القرّاء الذين كانوا يتابعونه باهتمام ، نوعاً من الزهد والانصراف . . .

مؤلفـات الدكتور سهيل ادريس

في طبعة جديدة

روايـات

- الحيّ اللاتيني (الطبعة الثامنة)
- الخندق الغميق (الطبعة الرابعة)
- أصابعنا التي تحترق (الطبعة الخامسة)

قصص

- أقاصيص أولى (الطبعة الثانية)
- أقاصيص ثانية (الطبعة الثانية)

آفاق « الآداب »

- في معترك القومية والحرية (ط ٢)
- مواقف وقضايا أدبية (ط ٢)

مترجمات (صدرت أخيراً)

- الطاعون ـ لألبير كامو
- الثلج يشتعل ـ لريجيس دوبريه
- من أكون في اعتقادكم ـ لروجيه غارودي